

الغناء والموسيقى والمجالس الاجتماعية

في العصر العباسي

للكاتبة م. م. م. م.

قسم التاريخ - كلية النبات - جامعة بغداد

اهتم العباسيون اهتماماً كبيراً بصناعة الغناء والموسيقى . ولم تكن هذه الصناعة جديدة عليهم ، فالعرب في الجاهلية كان لديهم غناء بسيط يسمى بالحاء ثم اشتق منه الغناء المعروف ، ويقول المسعودي « لم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطرب من العرب »^(١) . وظهر من الغنّين المشهورين في العصر الإسلامي الأول ابن محرز وابن سريع ومعبد والفريض وغيرهم^(٢) .

وفي المصور العباسية تطورت صناعة الغناء والموسيقى تطوراً كبيراً . وبلغت ذروة الكمال^(٣) عند ظهور الغنّين كإبراهيم وإسحاق وغارن وابن بانه وابن جامع وعلوية هذا وقد شاركت المرأة الرجل في هذا الميدان ، وبرزت بعض الجوارى المغنيات كمربب جارية المأمون وشارية وبدعة وشاجية وغيرهن كثيرات .

ولا بد من وجود دوافع وأسباب أدت إلى تطور هذه الصناعة تطوراً بعيداً لدى جميع طبقات المجتمع حتى العامة^(٤) . ونلخص من هذه الأسباب :

١ - التأثير بالفرس ثم بالروم الذين أصبحوا موالى للعرب المسلمين بعد الفتوحات ؛ فنشأ بالبيدات والطنساير والمعاظف والزماير ، وسمع العرب تلحينهم فلحنوا عليهم الأشعار^(٥) . هذا فضلاً عن كثرة الجوارى اللواتي أخذن كسبانياً في الحرب . وأغلبن من الفارسيات والروميات اللواتي حملن البعض منهن ثقافتهم الأصلية ثم تتفنن على أيدي

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ١٦٠

(٢) الأصفهاني : الأغاني ، ج ٢ ص ٢٦٨

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٠٠

(٤) ابن طيفور : بغداد ص ١٥١ ؛ التوحيدى : الأمتاع والحوالكسة ص ١٧١-١٧٣

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٣٠٠

التخاسين ، فبرزن في الأدب والشعر الغناء وأقيمت الأسواق ليمهن ، حتى بلغ سمر البض أربعة عشر ألف دينار^(١) وربما أكثر ، ولعب بعضهم دوراً كبيراً في تصور الخلفاء والأمراء ، كما فعلت عريب التي جمعت بين الأدب والغناء . وهناك البعض ممن برزن في اللعب على الآلات الموسيقية ، واشتهرت عبيدة^(٢) الطنبورية التي جمعت بين الأدب والشعر والموسيقى ، وقد ذكرها جحظة في كتاب «الطنبورين والطنبوريات» ؛ ومنهن من اتصفن بحسن السلوك والأدب والتصرف مع الغناء . ذكر ابن طيفور أن جارية أهداها عبد الله بن طاهر إلى المأمون فلما دخلت عليه قال لها : غني يا جارية فغنت وهي قائمة ، فقال لها : لم غنيت وأنت قائمة وما منعك من الجلوس ؟ فقالت ياسيدي أمرتني أن أغني ولم تأمرني أن أجلس فغنيت بأمرك وكرهت سوء الأدب في الجلوس بغير إذنك . فوهب لها مالا واستحسن ذلك منها^(٣) .

أما شاجية التي عرفت بحبها للغناء والموسيقى فقبل أن المعتضد سأها يوماً عند حضورها في دار الخلافة « هل رأيت شيئاً لم تر مثله عندنا فاستحسنته ؟ » فقالت « لا والله إلا عوداً من عود »^(٤) وهي التي شهد لها المنى جحظة بقوله : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يدع عنه بشيء يستحسنه سوى عود^(٥) . وغيرهن كثيرات .

هذا ، وللمغنين دور كبير في تطور الغناء والموسيقى ، بعضهم من أصل أجنبي نقلوا الثقافات القديمة وأضافوا إليها ثقافة العرب ، فبرزوا ليس كغنيين فقط بل كأدباء وشعراء - بل حتى فقهاء - مع الغناء والموسيقى . فهذا إبراهيم الموصلي^(٦) الفارسي الأصل كان بارعاً في صناعة الغناء والموسيقى ، حتى أن ثلاثين جارية ضربن جميعاً طريقة واحدة وغنين في الأوتار وترآ غير مستو ، فأخذ يشير إلى إحداهن قائلاً : يا فلانة شدي مثلك ؛ فتشده وتستوى الأوتار^(٧) .

(١) الصوى : الأدران ص ١٠١

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ج ١٩ ص ١٣٢

(٣) طيفور ، بغداد ص ٩١

(٤) الشابشي ، الديارات ص ٨

(٥) التنوخي ، نشوار المحاضرة ج ١ ص ٦٣ ، ٦٤

(٦) الأصفهاني ، الأغاني ج ٥ ص ١٧٠ وما بعدها

(٧) تاريخ العرب مطول ص ٥٠١ - ٥٠٤ ج ٢

وهكذا كان ابن إسحاق الوصلي له مقدرة وتفهم للفناء والموسيقى كأيّيه ، ذكر أن يوماً في مجلس المأمون جلست عشرة على يمين المأمون وعشرة جوارى عن يساره وممن العبدان يضرّبن بها ، وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً ، فبدأن بالفناء والضرب ؛ فوجد إسحاق هناك خطأ من الناحية اليسرى ؛ فأنكره إبراهيم وأكد عليه إسحاق ، وظهر صحة قوله وتعيينه للخطأ ؛ فشهد له المأمون ببراعة في هذه الصنعة وتفوقه على إبراهيم بن المهدي ؛ إذ قال لإبراهيم « لا أمار إسحاق بعدها أن رجلا فهم الخطأ بين ثمانين و تراً وعشرين حلماً لجديد الأغارية » (١) ، ويقول الأبيسي إن إسحاق كان يصنع الألحان العجيبة . ووصف خرداذبة للمعتمد خصائص المغني بقوله : « قد تمكن من أنفاسه ولطف في اختلاسه وتفرغ في أجناسه » (٢) .

وكان لاهتمام الخلفاء بالفناء أثره في ارتفاع منزلة المغنين والفناء في المجتمع ، فالاهتمام بالمغنين كان منذ العهد الأموي حتى قيل أن الوليد هو أول من جلب المغنين من البلدان إليه (٣) . وهكذا فعل الرشيد الذي فاق جميع الخلفاء في تقديره للمغنين - بالإضافة إلى العطايات والهدايا - وجعلهم مراتب وطبقات (٤) : أولها إبراهيم وإسحاق وابن جامع وزنزل وغيرهم ، وآخرها أصحاب المازف والونج والطنابير . وعلى قدر ذلك تخرج جوائزهم (٥) وإذا أظهر أحدكم براعة رفع إلى المنزلة العليا . وهكذا فعل برصوما الزامر وهو من الطبقة الثانية عندما طلب منه أن يزمّر لفناء ابن جامع فرفض وقال : لا أزمّر فإن كنت أزمّر على الطبقة العالية رفعت إليها ، فيما أن أكون في الطبقة الثانية وأزمّر على الأولى فلا أفعل . فطلب الرشيد من صاحب الستارة أن يرفعه إلى المرتبة الأولى (٦) . وماذا تقول في تقدير خليفة للمغنين حيث يذهب بنفسه إلى دار المغني ، كما فعل الرشيد عندما ذهب يوماً مع أربعمائة خادم أبيض إلى دار المغني إبراهيم (٧) .

(١) الأصبهاني ، الأغاني ج ٥ ص ٢٨٥

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٦٠

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ج ٣ ص ٢٧١

(٤) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ١٠١٦

(٥) الجاحظ ، التاج ص ٣٩

(٦) الجاحظ ، التاج ص ٤١

(٧) الأصبهاني ، الأغاني ج ٥ ص ٢١٨

وهذا المأمون الذي اشتهر عصره بالعلم والمعرفة في جميع النواحي ، كان لا يتردد في السماح لإسحاق المغني أن يدخل عليه بزى الفقراء وهو سائر بجانب قاضي القضاة أحمد بن داود ، مما أثار الدهشة عند الناس والحسد لدى مختارق وعلوية^(١) . هذا ، وطلب إليه أيضاً أن يدخل مع أهل العلم والأدب والرواة لأمع المغنين ، فإذا أرادته للثناء غنى^(٢) . وسأل المأمون يوماً أن يحضر الصلاة مع الفقهاء في المقصورة يوم الجمعة ، فأجابه المأمون « ولا كل ذا بإسحاق ، وقد اشتريت هذه المسألة بـ ١٨٠ ألف درهم »^(٣) . وهكذا فعل الواثق مع المغنين . قيل كان يحضر إسحاق إلى مجلسه بدون عود ، فإذا طلب منه الثناء أعطى له عود^(٤) . وكذلك الراضى^(٥) والمقتدر وغيرهم . أما الخلفاء القادر والقاهر والمهتدى الذي طرد المغنين وحرم الغناء ومنع الملاهي وقبضها عليهم من الرجال والنساء والحرائر والأبناء وكسر آلات الطرب وأمر ببيع الجوارى على أنهم سواذج ... إلى آخره .

وهناك سبب آخر هو تفهم واطلاع ومعرفة بعض الخلفاء لفن الغناء ، واهتمامهم الشديد بدراسته وتطوره ، وعلى رأسهم الواثق والمعتمد . فالأول له معرفة عميقة بالأهزاج والألحان والأصوات^(٦) ، وكان يأمر المغنين ببناء ما يخرجهم من الأصوات ويهتم بالتلعين إلى درجة المقارنة بينه وبين إسحاق ، ويشهد له المؤرخون ، فقال السيوطي « وكان الواثق أعلم الخلفاء بالغناء وله أصوات وألحان بلغت حوالى المائة »^(٧) .

أما المعتمد - كما يذكر عنه المسعودي^(٨) - فكان شغوفاً بالطرب وبفن الغناء والموسيقى ، وكان ملازماً لابن خرداذبة الكاتب المعروف في الغناء والموسيقى ، إذ

-
- (١) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٢٧٦
 - (٢) و (٣) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٢١٥
 - (٤) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٢٨٦
 - (٥) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٦١ ، قيل كان لا ينصرف عن مجلسه مغن أو مغنية إلا ويدفع لهم بصلة أو كسرة قلت أم كثرت كما كان يفعل أبو العباس .
 - (٦) الأصفهاني ، الأغاني ج ٩ ص ٣٣٥
 - (٧) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ١٣٦
 - (٨) المسعودي ، مروج الذهب ج ٢ ص ١٥٦

دخل عليه يوماً وفي مجلسه عدد من الندماء فسأله المتصد عن أنواع الطرب ، فقال على ثلاثة أوجه ؛ ضرب محرك ينعش النفس وضرب شجن وحزن ؛ وضرب يكون في صفاء النفس ولطافة الحس ... إلى آخره .

أما آلات الطرب فتتكون من الزمار ، الناي^(١) ، الرباب^(٢) ، العود^(٣) ، الطنبور^(٤) ، الرق^(٥) ، الطبل^(٦) ، العزفة^(٧) ، السكلاريت^(٨) ، السرناي^(٩) ، الجنك^(١٠) ، الونج^(١١) إلى آخره .

ف قيل ناي^(١٢) زناي إختراعه زنام ، وأول من ضرب في هذه الآلة في عهد المعتصم عاصي الرشيد والمعتصم والواثق والمعتز . أما العود فقد عرف عند العرب وهو من الآلات الوترية ، ووصفه الشعراء بقولهم كثيراً في شعرهم^(١٣) وضرب عليه العرب كثيراً ، ويعتبر من الآلات المرغوبة ؛ أخذ من الفرس ، واستطاع زلزل أن يحدث الضرب على العود بعيدان الشنايط ، وكانت قبلاً على عمل عيدان الفرس ، فجاءت عجبياً من المعجب^(١٤) ووصف الخوارزمي العود وصفاً دقيقاً وكيفية الضرب عليه^(١٥) .

أما الطنبور فيعتبر من الآلات الموسيقية المشهورة والمهمة عند العباسيين ، وسمى أحياناً من يدق عليه باسمه كعبدة الطنبورية ، واشتهر بالضرب عليه سليمان

(١) الشاشتي ، الديارات ص ٧١

(٢) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧ ؛ التنوخي ، نشوار المحاضرة ج ١ ص ١٩٣

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٥١

(٤) ابن الجوزي ، الأذكياء ص ٧٠

(٥) الشيرازي ، المسبة ص ١٠٩

(٦) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٨

(٧) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(٨) و (٩) الشاشتي ، الديارات ص ٧٢

(١٠) و (١١) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧

(١٢) البجرتي ، الآداب السلطانية ص ٣٢٠

(١٣) الشاشتي ، الديارات ص ١٦٨

(١٤) الأصبهاني ، الأغاني ج ٥ ص ٢٠٢

(١٥) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ١٣٧ - ١٣٨

الطبال^(١) وابن القصار في مجلس^(٢) المعز، وكلاهما من القرنين في القرن الثالث الهجري . وأشهر أنواع الطنبور الميزان البغدادي الطويل^(٣) . وفي السمودي وصف شامل للآلات الوترية كآلة المربع والمستطيل والدورة ، إلى آخره^(٤) . أما الطبل فيقول السمودي أنه أخذ من الفرس^(٥) . والرباب وهو ما يجيء حتى يجيء صوته ولا يضرب ، عرفت عند الفرس . والقثارة واللوزا وغيرها أخذت من الهند^(٦) . وهناك تشابه ما بين المزمار^(٧) والكلارينيت^(٨) ، وهو آلة ينفخ فيها كالزمار، وصنمها أحمد بن موسى المهندس ، وعند التصغير يرسل منها الماء فيسمع لها متكونة من عدة دفوف يسمع لها صوت كالجلجل^(٩) ، وهناك آلات كثيرة أخرى كالشهرود^(١٠) اخترعت في القرن الثالث الهجري (إخترها حكيم بن أحوص السفدي) وآلة بوران التي سميت الآلة^(١١) باسمها وغيرها من الآلات .

(١) الشاشتي ، الديارات من ٩٩ ؛ الأصفهاني ، الأغاني ج ٢ من ٢٨ - ٣١

(٢) الشاشتي ، الديارات من ١٠٧

(٣) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم من ١٣٧

(٤) السمودي ، مروج الذهب ج ٤ من ٢٥١ - ٢٥٢

(٥) السمودي ، مروج الذهب ج ٤ من ١٥٨

(٦) ابن الجوزي ، المدهش من ٢٣٢

(٧) الوشاء ، الموشى من ١٩١

(٨) الشاشتي ، الديارات من ٧٢

(٩) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم من ١٣٧

(١٠) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم من ١٣٧

(١١) سيد أمير علي ، من ٣٩١

المجالس الاجتماعية في العصر العباسي

١ - المجالس الغنائية :

أقيمت بالدرجة الأولى في قصور الخلفاء وأصحاب المراتب العالية ، واشتهرت هذه في العصر العباسي ، خاصة في عهد الرشيد والتوكل والمقتدر والواثق . واهتد مثل هذه المجالس مناسبات عديدة ، منها أنها أقيمت في أول يوم الخلافة ، إذ يدخل المثقفون على الخليفة الجديد ويغنون له أبيات شعرية تمجد الخليفة الجديد ، وقيل إن إبراهيم الموصلي أول من غنى للرشيد في اليوم الأول ؛ قال (١) :

إذا ظلم البلاد وتجلتسا منها ردت الإمام لها ضياء
بها ردت استقام الصراع فينا وغاض الفجور وانفسح الرجاء

أو أن تقام لمجرد التسلية والإيناس والاستماع للثناء والموسيقى ، خصوصاً في عهد هارون (٢) والواثق والتوكل والمعتز ، فيكثر فيها الشراب ويشترك الندماء والجواري . وذكر أن الواثق أقام مجلسين متتاليين في يوم واحد ، وأقامها أيضاً في يومين متتاليين (٣) .

أو لإزالة الشعور بالانتقاض ، وإزالة حالة الغضب والهياج ، كما فعل المتنصر يوماً ، إذ دعى بينان بن الحرث العواد وكان مطرباً عبيداً فأحضره فغناه .

لقد طال عهدى بالإمام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدي (٤)

أو قد تقام في مناسبات الأعياد ، خصوصاً الذوروز والمهرجان . أمر الراضون في

(١) الأصفهاني ، أغاني ج ٥ ص ٢٠٣

(٢) كان الرشيد يجمع الفنانين والموسيقيين دائماً للتسلية فجمع يوماً إبراهيم وزلزل وبرصوما فكونوا جوقاً موسيقياً ، الغنى والزمار والضارب « أغاني ج ٥ ص ٢٤١ » ؛ التوبرى ، نهاية الأرب ج ٥ ص ٢١٤ - ٢١٥ ، مجلس الرشيد الذي حضرته ألني جارية في أحسن زى .

(٣) الشابقي ، الديارات ص ١٠٧

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٧٨

ليلة عيد المهرجان بإحضار الجلساء ، وقعد في مجلس التاج على دجلة ، وأجاز في ذلك اليوم من الندماء والمغنين والملمهين بالدفانير والدرهم والخلع وأنواع الطيب ، فلم يكن أحسن منه فرحاً^(١) .

وتقام أيضاً في أعياد المسيحيين ، إذ يشترك المسلمون في تلك المناسبات - حتى الخلفاء - فالأمون جلس في يوم الشعائين ، وبين يديه عشرون وصيفة راميات ، تخرجن بالديباج الرومي وعلقن في أعناقهم صلبان الذهب ، وفي أيديهن الخوص والزيتون ، وغنى إبراهيم

طبء كالدنانير ملاح في المقاصير
جلاهن الشـ اثين علينا في الزنانير

ورقصت الجوارمي أنواع الرقص والمأمون في حالة سكر ، ثم أعطى المغني ألف دينار ووزع على الجوارمي ثلاثة آلاف دينار^(٢) .

وتقام في مناسبة ختان الأولاد ، واشتهرت حفلة ختان عبد الله المعتز ابن المتوكل ، حضر المجلس أربعمائة بليه ، أي راقصة ، عليهن أنواع الثياب ، وحملن في أيديهن أنواع الزهور والرياحين والزجس والفواكه ، وثرت على الرؤوس ، وحضر المجلس المغنون والموسيقيون أمثال عمرو بن بانة وابن السكي وسليمان الطبال وصالح الدقاق ، وغيرهم كثير^(٣) .

هذا ، وقد تجرئ فيها مناظرات ومناقشات تدور حول صنعة الغناء والموسيقى وتاريخهما وتطورهما ، وكذلك عن الرقص والتحكيم بين الغنين والموسيقيين^(٤) .

وأحياناً تقام حفلات موسيقية فقط خاصة تسمى (بزيات الخاتون) يشترك فيها مائة عازف^(٥) .

أما طريقة الجلوس بالنسبة إلى الخلفاء العباسيين فمنهم من لم يظهر أمام الندماء

(١) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ٢٦٢

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ج ١٩ ص ١٣٨

(٣) الشاشقي ، الديارات ص ٩٩

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ج ٤ ص ١٥٧

(٥) سيد أمير طي ، الحضارة ص ٣٨٧

والغنين ويستمع إليهم من خلف الستارة^(١) ، كما فعل أبو جعفر النصور . ومنهم من اختفى^(٢) ، ثم ظهر ، كالمهدى والمهادى والرشيد . أما للأمون فقد امتنع عن إقامة مجالس غنائية لمدة سنتين ثم ظهر أمام المغنين^(٣) . ومنهم من اهتم بها اهتماماً كبيراً إلى درجة انشغاله بها ليالى متتالية لحبه للطرب ، كالواتق^(٤) والرشيد^(٥) وغيرهم .

أما الجلوس في المجلس فيكون بدرجات ، فالمتقدمة فيها للعلماء وأهل الأدب والرواة ، ثم تأتي طبقة الندماء ثم للمغنين . وقد طلب إسحاق يوماً من الأمون الجلوس مع أهل العلم والأدب بدون غناء ، وإذا غنى يتقدم ويجلس مع المغنين ثم يرجع مرة أخرى . وحتى المغنين فقد رتبهم الرشيد بمراتب وصنوف مختلفة ، تبعاً لقدرتهم الغنائية والموسيقية^(٦) . وأما المجالس التي تمحضر فيها المغنيات ، فتفصل بينهن وبين الخليفة أو الرجال ستارة ، ويقف شخص يشرف على إدارة حفلة الغناء يسمى بصاحب الستارة^(٧) عليه أن ينفذ ما يطلبه الخليفة من المغنيات . قيل أحضرت شارية في مجلس المعتز^(٨) لتغني ، وجلست خلف الستارة ، وأخذت تناقش الرجال في الغناء^(٩) . وقد وصف المؤرخون الستارة بأنها مطرزة بالذهب^(١٠) ومن خلفها الجارية تغني .

والظاهر أن هناك بعض الجلسات ، جلس الخلفاء فيها مع المغنيات بدون ستارة . ذكر أن للأمون جلس يوماً وعن يساره تسعة مغنيات وعن يمينه تسعة مغنيات أيضاً ؛ وطلب منهن أن يغنين ، وطلب من إسحاق وإبراهيم أن يحكما بينهن^(١١) وأكثر من ذلك أن المعتز كان يجلس مع الجوارى خلف الستارة التي تفصله عن المغنين

(١) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣

(٢) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣ ؛ ابن طيفور ، بغداد ص ١٧٩

(٣) الجاحظ : التاج ص ٣٣

(٤) الشابتي ، الديارات ص ١٥٧

(٥) أغاني ، ج ٥ ص ١٦٦ لإخراج إبراهيم من السجن لإحياء حفلة غنائية لهبط .

(٦) الجاحظ ، التاج ص ٤١

(٧) الجاحظ : التاج ، ص ٣٣

(٨) الشابتي ، الديارات ص ٧٩

(٩) الشابتي ، الديارات ص ٧١

(١٠) البيهقي ، المحاسن والأضداد ص ٤٠١

(١١) ابن طيفور ، تاريخ بغداد ص ١٠٥

والموسيقين ، فإذا أراد شيئاً أرسل شخصاً يطلب منهم الغناء . وبين يدي كل منى كأس فيه خمسة أرطال من النبيذ وقدح ومضلل وكوز ماء . وقد تغنى الجوارى أيضاً (١) .

وكما كانت المجالس الغنائية تعقد في قصور الخلفاء ، كانت تعقد أيضاً في بيوت الأسماء والوزراء . وقد لاقتل أبة وروعة وبدخاً وإسرافاً عن سابقتها ، ومحضرها حتى القضاة الذين قد يطرحون الحشمة ليلائم رجعون إلى وقارهم . ومن بينهم أشهر القضاة كابن مترجة وابن معروف والقاضي التنوخي المعروف . قيل ، حضروا في مجلس الوزير المهلبى الغنائى واتعمسوا بالطرب ونسوا الوقار إلى درجة وضع كل منهم لحيته في شراب من قطر بل أو مكبراً بكأس من الذهب من ألف مثقال ، ثم يشرب أكثره ويرش بعضهم على بعض ، ويرقصون وعليهم المضيفات إلى آخره ، وقال الشاعر في ذلك .

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا حلوة في مخانق الدم
وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شبيهه عيشاً أمل مثل حمرة العلم
حتى تحال العيون شيبته شبية فصلان ضرجت بدم (٢)

وعرف أبو الحسن على بن محمد بن الفرات بأبهة الحفلات الغنائية التي كانت تقام في داره ، ففي إحدى الحفلات أحضر المغنيات خلف الستارة ، ومن بينهم الجارية بدعة فغنت وضربت على العود ، فاستحسن أبو الحسن ما أنت به .

فطرب وقال شعراً :

إذا بدعة جردت عودها فذلك في ضربها كل شعب (٣)
تغنى — فتجنى عمار القلوب وتهدى سروراً إلى كل قلبي

(١) الأصفهاني ، الأغاني ج ٥ ص ٢٢٢

(٢) الثعالي ، بئيمة الدر ج ٣ ص ٣٣٧

(٣) الصابني ، الوزراء ص ٢١٤ — ٢١٥

٢ — مجالس القصاص :

مجالس القصاص نوعان : عامة وخاصة ، فالعامة يجتمع فيها نفر من الناس للقصاص ويعظم ويذكرهم . وأما الخاصة فقد أوجدها معاوية ، يقف القاص بمد صلاة الصبح ويذكر الله ويدعو للخليفة^(١) . وهذه المجالس تمقد على شكل حلقات^(٢) في المساجد^(٣) ، ثم أخذت تمقد في الطرقات^(٤) والأسواق^(٥) والمقابر^(٦) . فالإسلام لم يمنع القصاص من القيام بهمتهم بل شجعهم وذكرهم^(٧) بالحسن في القرآن ، قال تعالى « نحن نقص عليك أحسن القصص »^(٨) ، وقال « فأقص القصص لهم يتذكرون »^(٩) وغيرها من الآيات ، كما أن الرسول الأعظم (ص) ذكرهم وامتدحهم^(١٠) . وهذه الآيات دلت على أن القصاص لم تكن وليدة الإسلام ، بل كانت قبل ذلك عند العرب ، ولكنها أصبحت عند ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري عبارة عن قصص دينية^(١١) تهدف إلى معرفة الخالق والتسك بالأخلاق إلى غير ذلك من الحسنات . واختلف المسلمون في تعيين زمن ظهور مجالس القصاص ، فمنهم من قال في عهد عمر بن الخطاب ، والمقرزي قال^(١٢) في عهد معاوية ؛ وربما كانت في عهد عثمان . ولكن معاوية أحدث القصص الخاصة ومنع القصص العامة وسمح برواية القصص الخاصة ؛ وفيها مجالس القاص بمد صلاة الصبح يدعو للخليفة ولأهل

(١) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١٠٣

(٢) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١١٤

(٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٢٣

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٢٢ ؛ الثعالبي ، يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦٨

(٥) الثعالبي ، يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٦٦

(٦) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ص ١٢٢

(٧) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ص ١٢٠

(٨) القرآن الكريم ، سورة يوسف آية ٣

(٩) القرآن الكريم ، سورة الأعراف آية ١٧٦

(١٠) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١٤١

(١١) الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٣٦٧ — ٣٦٨

(١٢) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٥٣

(١٣) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠١

ولايته ولحاشيته إلى آخره^(١) ، بعد الدعاء للنبي (ص) . فالقاص مهنته إلقاء الآيات والأحاديث وأخبار السلف^(٢) والحكايات^(٣) على الناس . والظاهر أنه في القرن الأول الهجري - حتى منتصف الثاني - لا يمكن التمييز بوضوح بين الواعظ والقاص ، فأطلق على القصاص إسم الوعاظ التطوعين^(٤) لأن كلا المهنتين كانت تخدم المجتمع خلقياً ودينياً ، لذا لم يتعرض أحد للقصاص خصوصاً العلماء الذين رضوا عنهم لأنهم كانوا يبثون روح الزهد بين العامة . ومنهم إبراهيم التيمي^(٥) القصاص ، كان قاضياً كقاض مكة الذي كان يروي عن الصحابة مثل ابن هريرة ، ومنهم الخطباء الثقفون كأبي بكر الهندي ومعطوف^(٦) ومنهم البلغاء العظماء من قراء القرآن القائم بالتدريس ، ومنهم العلماء العارفون اللغات الأجنبية بجانب العربية كابن سيار الأسراري^(٧) . حتى أنه كان يترجم من اللغة العربية العظمى إلى الفارسية العظمى وبالعكس بطلاقة ، أثناء وعظه ، وهكذا كان غيرهم . ولكن لم تستمر هذه الحالة ، إذ جاء بعد هؤلاء العلماء طبقة من القصاصين قليلي المعرفة حتى عن الأنبياء والمرسلين^(٨) غايتهم الكسب والتسلية والمالب بعبول العامة^(٩) ، وقد ظهروا في القرن الثالث حيث أخذت الروح الدينية^(١٠) والأخلاقية تختفي من مجالسهم تدريجياً ، حتى جاء القرن الرابع ، وإذا بالقصاص ينزلون إلى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الدينية الخرافية والأساطير والنوادر في المساجد والطرقات ، وكان يجتمع إليهم رجال ونساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويمدون أيديهم لأخذ الأموال^(١١) .

هذا الانحراف يرجع إلى تدهور شخصية القاص من جميع الوجوه ، وإلى مستوى

(١) الخطيب ، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١٠١

(٢) السبكي ، معيد النعم ص ١١٣

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ج ٨ ص ١٦١

(٤) آدم متر ، الحضارة ج ٢ ص ١٠٣

(٥) ابن الجوزي ، صفة الصفرة ج ٢ ص ٩ - ٥٠

(٦ و ٧) الجاحظ ، البيان ج ١ ص ٣٦٧

(٨) الثعالبي ، يتيمة الدهر ج ٣ ص ٥٢

(٩) ابن الجوزي ، تلبيس ص ١٢١ .

(١٠) الجاحظ ، البيان ج ١ ص ٣٦٧ .

(١١) المكي ، قوت القلوب ج ١ ص ١٤٩ .

عقلية العامة . فالقصص الكذابون انتشروا في العراق في القرن الثاني الهجري ،
ومنه انتقلوا إلى آسيا الصغرى والحجاز^(١) وهؤلاء استغلوا جهل العامة من جهة
ومحبتهم لهم من جهة ثانية ، إذ قيل أن العامة كانت تدافع عن القاص حتى لو كان غير
لائق بهذا المنصب . حكى أن عثمان الوران قال : رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق
يباب الشام فقلت له : ويحك أما تستحي ؟ فقال لي : رأيت لو كنا في دار فيها بقر
كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا . قلت : فاصبر حتى أعلمك
بأنهم بقر . فقام ، فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم : روى لنا غير
واحد أن من بلغ لسانه أرنية أنفه لن يدخل النار . فبقي واحد إلا وأخرج لسانه
يوميء به نحو أرنية أنفه ويقدره حتى يبلغها أم لا . فلما تفرقوا ، قال لي العتابي :
ألم أخبرك أنهم بقر^(٢) ؟

وهناك قصص كثيرة وحوادث تدل على دفاع ومحبة العامة للقصص ورغبتهم في
الحضور لمجالسهم أيما عقدت .

هذا ، ومن القصص من اتصف بفساد الأخلاق كأبي كعب القاص^(٣) وأبي سالم
الذي قلع باب للمسجد يوماً لأن باب داره سرقها اللصوص ، وعندما قالوا له : ماتنع ؟
قال : أطلع هذا الباب فإن صاحبه يعلم من قلع بابي^(٤) ومنهم من يذكر بدعاً^(٥)
وأخباراً كاذبة لا علاقة لها بالدين ، ومنهم من ينوح على الموتى ويصف ما يجري لهم
من البلاء والغربة إلى آخره ، أو قد ينشد أشعاراً غزلية ويقول بحجة الله ، أو قد يحرك
يديه ويصفق بها ويحرك رجليه ويضرب بها الأرض إلى آخره من حركات الجسم التي
يريد بها أن يجذب إليه أنظار العامة ومن ضمنهم النساء ، كما يقول ابن الجوزي^(٦) .
أو قد يفسر بعض الكلمات تفسيراً غير صحيح لقلّة معرفته باللغة العربية أو لكونه
عجيباً . قيل سؤال أحد القصاص عمن تسميه المصفور ، فأجاب : لأنه عصي وفر !

(١) آدم مئز : الحضارة ج ١ ص ١٢٨

(٢) الأصفهاني : الأغاني ج ١٣ ص ١١٤

(٣) الملاحظ : الحيوان ج ٣ ص ٢٤ - ٢٥

(٤) ابن الجوزي : الحقي والمفلقين ص ١٢٥

(٥) الفزالي : إحياء العلوم ج ٢ ص ٣٣١

(٦) تلبس إبليس س ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

وقيل له : فالطفشيل ، قال : لأنه طفا وشال^(١) ! وحكى عن مدى جهالة العامة والقص أيضاً أن أحدهم وقف يوماً وهو يقول : إذا مات العبد وهو سكران وحشر وهو سكران ، فقال رجل في طرف الحلقة لآخر : هذا والله نبئذ جيد يساوى الكوز منه عشرين درهماً^(٢).

هذا ، وقد اقتبست القصص الإسلامية من القصص الهندية كسكيلة ودمنة^(٣) طريقة التحدث عن أسنة الطيور والحيوانات ، ومن القصص الفارسية كألف ليلة^(٤) وليلة الحوادث الخيالية البعيدة عن الدين ، فألف سهل بن هارون^(٥) وعلى العتابي على لسان الحيوانات ، وقام الجهمشينارى أيضاً بكتابة ألف سحر وسحر^(٦) ، ولكنه توفي ولم ينته الكتاب ؛ بالإضافة إلى دخول العقائد وآراء الأديان القديمة^(٧) إلى مجلس القصص . ولعب الوراقون أيضاً دوراً كبيراً في دفع القصص إلى الانحراف ، فأخذوا يصنفون ويؤلفون القصص الخيالية ، كما فعل ابن المطار وابن دلان^(٨) ، واستمرت القصة ومجالس القصص في التدهور في القرن الرابع وحتى القرن الخامس ، حيث شاع انتشار الحكايات والأسمار وكثر عدد المستمعين لمجالسهم من الرجال والنساء على السواء^(٩) .

وقد اتخذوا بالإضافة إلى ما ذكرناه طرقاً أخرى لكسب المال ، فنجد أحد القصص يقف بطرف الطريق يقص عن فضائل علي ، وآخر يقف في الطرف الثاني يقص عن

(١) الحموي ، معجم البلدان ج ١ ص ٣٩٣

(٢) ابن الجوزي ، أخبار الطراف ص ٩٠

(٣) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٤) السعدي ، مروج الذهب ج ١ ص ٤٣٧

(٥) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٦) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٧) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٥٦

(٨) ابن النديم ، الفهرست ص ٤٣٧

(٩) القفطي ، تاريخ الحكماء ص ٣٣١

(١٠) ابن الجوزي ، تليس ١٢٢

فضائل أبي بكر؛ والناس تدفع لهم النقود^(١) كل حسب ميوله، فلا يفوتها درهم. أو قد يتفقون مع أحد الأشخاص أن يجلس مجلسهم ويسمى بالكوز، فيأمر القاص أصحابه بأعطائه النقود، ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه^(٢). هذا ومن جراء ما وصلت إليه مجالس القصاص وقف في وجههم الخلفاء، وأصحاب السلطة من جهة، والعلماء من جهة أخرى. فمن جراء إثارته للفتن، وكسبه الأموال بدون استحقاق منهم بعض الخلفاء من الجلوس في المجلس وإلقاء القصة للناس. وقد حدث هذا في سنة ٢٤٨^(٣)، إذا أمر المعتضد بمنع القصاص من الجلوس في المساجد والطرقات، بعد حصول الفتنة بين السنة والشيعة. وفي سنة ٣٦٧^(٤) أيضاً منع عهد الدولة القصاصين من الظهور وأعتبرهم آفة المجتمع الذي تمرض للعروب الأهلية المذهبية وإلى الجوع والمرض والمهلك. وكذلك في سنة ٤٠٨^(٥) أمر القادر بضرب القصاص واندفع في محاربة المذهب الشيعي من جراء موقف القصاص. وفي كتب التاريخ حوادث كثيرة من هذا القبيل خلال العصور العباسية المتأخرة على الأخص.

أما العلماء، فقد وقفوا لهم بالمرصاد وحاربوهم بقدر ما يمكن، ولو أن القصاص كانوا هم المسيطرون على المجتمع في القرون الثالث والرابع والخامس. فمن هؤلاء السعدي الذي وصفهم بالكذابين^(٦)، ووصفهم الهمداني بالشعوذين، وغيرهم كالبيروني والقدسي والسيوطي وابن الجوزي، وغيرهم.

أما من علماء الدين فهؤلاء كانت لهم الأفضلية والأسبقية في الوقوف في وجه القصاص، فيذكر أن مالك بن أنس منعهم من دخول مسجد المدينة^(٧). وأحمد بن حنبل بعد أن كان يعبدهم بقوله « ما أحوج الناس إلى قاص »^(٨)، انقلب عليهم لانحطاط

(١) الثعالي، يتيمة الدرر ج ٣ ص ٣٦٦

(٢) الثعالي، يتيمة الدرر ج ٣ ص ٣٦٢

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج ٨ ص ١٨٢

(٤) ابن الجوزي، المنتظم ج ٣ ص ٨٨

(٥) المنهجي، العبر ص ٦٥ — ٦٦

(٦) مروج الذهب ج ٥ ص ٨٦ الطبعة الأوربية

(٧) آدم متر، الحضارة ج ٢ ص ١٤١

(٨) ابن الجوزي، تلبس ص ١٢٢

مستواهم الأدبي والخلق والاجتماعي». وكذلك المحدث المشهور الدارقطني، وغيرهم من علماء الدين.

وبالرغم من تقرب وحببة العامة لهم، إلا أن هناك جماعات لم تتحمل المستوى المنخفض للتقصص. حتى أن رجلاً جاء إلى قاص وهو يقر ألا يجرحه ولا يسيئه (١) فقال له: اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويستسيغه. وكان الناس أيضاً يكفرونهم وينسبونهم إلى الجوارح (٢).

٣ - مجالس الوعظ :

كانت لمجالس الوعظ أهمية كبيرة في المصور الإسلامية الأولى (القرنين الأول والثاني) حيث يقوم الواعظ مقام للدرس، ويحضر حلقة في مجلسه عامة الناس بدون تمييز، ويأخذ على عاتقه تقييم الناس ثقافة دينية، يشرح لهم المفردات، ويحجب على جميع الأسئلة؛ وأطلق على بعضهم عندئذ الأساطين (٣) لأنهم يفتنون الناس في أساطين المسجد. وهناك دوافع لاستمرار مجالس الوعظ وهي شعور الناس بالروح الدينية التي لازالت عميقة في نفوسهم وكون الواعظ نفسه قبيهاً عالماً (٤) زاهداً ولاستمراره على التمسك بباية الأساسية في الوعظ، ألا وهي بث روح الإسلام وإرشاد العامة إلى الطريق الديني السليم (٥).

وهناك نوع ثان من مجالس الوعظ وهو مجالس الوعظ الخاصة وهي على قسمين وعظ عصى، وهذا قد يتم بين الفرد والواعظ كما فعل كثير من الخلفاء (٦) إذ يسألون الواعظ أن يعظهم. ووعظ يتم بين الواعظ ونفر من الطلاب ويسمون بأهل الزوايا (٧) لأنهم يتخذون مكاناً منزوياً في المسجد، أي في إحدى زواياه. وهذه

(١) ابن الجوزي، الحقي والمفليين ص ١٢٥

(٢) آدم متر، الحضارة ج ٢ ص ١٠١

(٣) المسكي: قوت القلوب ج ٢ ص ١١

(٤) ابن الجوزي، تلبس ص ١٠٢

(٥) البيهقي: المهاسن والمسايء ج ٣٣٨ و٣٤٤

(٦) الملاحظ: المهاسن والأضداد ص ١١٣

(٧) المسكي: قوت القلوب ج ٢ ص ١١

الحلقات علمية غايتها تعليم الطلبة أمور الشرع (١) . ولكن هذه المجالس إنحرفت بتطور المجتمع العباسي ، خصوصاً في القرنين الثالث والرابع ، إذ تعرض لمجالسهم الجهال من العوام والنساء كما يقول ابن الجوزي (٢) فتركوا العلم واهتموا بالكسب المادي ، فتنوعت عندهم البدع والحرافات، فمنهم ينزل في وعظه إلى مستوى (٣) واطيء من حيث المعرفة واللغة ، وقد يكون أعجمياً تنقصه البلاغة . حكى أن الأمين العلوي حضر مجلس واعظ أعجمي ، فمدحه الواعظ ثم قال : أي شيء أقول فيك وأنت من بيت الطهارة ثم قال : الدعاء في الحلوة ربما دخله نفاق ، وأنا أدعوك في الخلاء . قال : فقال لي الأمير ما يرضى من بيت الماء (٤) .

هذا ، ومنهم من خلع ثياب الزهد البسيطة والمرقعة ولبس الثياب الفاخرة الثينة فيفتن الناس به ويكون له جماعة ، كمحمد بن أحمد الواعظ الشيرازي (٥) وكذلك بن مسمون الواعظ (٦) المعروف الذي عرف بلبسه أحسن الثياب وبأكله لأطيب الطعام (٧) . ومنهم من أخذ بالوعظ خارج المساجد في مقابر رجال الدين - كمقبرة أحمد بن حنبل- يعقد فيها مجالس للوعظ، ومقبرة الشيخ معروف (٨) ومنهم من يعقد مجالسه في الأماكن الشعبية كحجلة (كباب البصرة والحربية) وغيرها من الأماكن الكثيرة (٩) .

والمفروض في الواعظ أن يكون عنصراً صالحاً للمجتمع ، فلا يثير الفتن والإضطرابات ولا يستغل كآلة بيد أصحاب السلطة ، كما حصل في القرنين الثالث والرابع ، إذ أصبحوا كالفصاحات عملاً مشيراً للفتن المذهبية بين السنة (١٠) والشيعتين

-
- (١) آدم متر : الحضارة ج ٢ ص ١٠٦
 - (٢) ابن الجوزي : تلبس ص ١٢٠ - ١٢١
 - (٣) الغزالي : إحياء العلوم ج ٢ ص ٣٣١
 - (٤) ابن الجوزي : الحق والمغفلين ص ١٢٦
 - (٥) ابن الجوزي : المنتظم > ٨ صفحة ١٣٤
 - (٦) ابن الجوزي : المنتظم ، > ٧ صفحة ١٩٨
 - (٧) آدم متر ، الحضارة ، > ٢ صفحة ١١٢
 - (٨) ابن الجوزي ، المنتظم : > ٩ صفحة ٨٩
 - (٩) ابن الجوزي ، المنتظم ، > ١٠ صفحة ٣٠
 - (١٠) أبو الفدا ، > ٢ صفحة ٨٢

مذاهب السنة كالحنبلية ، والشافعية ، إذ استغلت الوعاظ هذه المذاهب في النهج على المذاهب (١) الأخرى . فمن الحوادث المهمة سنة ٣١٨ (٢) حدوث الفتنة الكبرى بين الحنابلة والعامية حول تفسير قوله تعالى : « عسى أن ييمتك ربك مقاماً محموداً » فقالت الحنابلة معناها يقعد الله على عرشه وقال غيرهم بل هي الشفاعة . وكذلك حادثة الاسفراييني (٣) والأكتاني اللذين كادا أن يقتلا . وكذلك في حوادث سنة ٦٩٩ (٤) ٣٥٢ (٥) ، وغيرها ...

ومن الحكام من يقف بجانب أحد المذاهب ؛ فيطلب من واعظ المذهب أن ينشر ويعلن عن طريق وعظه ما يمكنه الحاكم ، فيكون الواعظ خير عامل للدعاية بيد السلطة . وحوادث سنة ٤٠٨ (٦) خير دليل على ذلك ، إذ طلب الخليفة القادر بالله ضرب الشيعة ومنع القصاص ، فاستعمل الوعاظ في ذلك . وتكرر هذا عند حدوث الفتنة بينهما والراضي (٧) في موقفه ضد الحنابلة ومعاقبة لهم عن طريق الوعاظ . وحادثة سنة ٣٥٤ في عهد بنى بويه عندما طلبوا من الوعاظ الاحتفال بيوم عاشوراء ولعن معاوية (٨) وفي إقامة الاحتفال بعيد العدير (٩) سنة ٣٨٩ ، وأقام السنة العيد بيوم فار حراء وغيرها من الحوادث . .

هذا ، ومن الوعاظ من له القابلية والمقدرة على مسaire السلطة (الخليفة) بمقدرته على الوعظ البليغ ، كما عرف ابن سمعون الواعظ المشهور الذي استطاع أن يجعل الخليفة الطائع في حالة بكاء عندما أرسل عليه ليؤذبه لتعرضه على الأمام على ، فشعر ابن سمعون بذلك وانقلب في وعظه يمدح علياً وما زال يعظ حتى أبكى الطائع (١٠) . وهكذا استطاع أن يتخلص من عقوبة عضد الدولة عندما استمر في

(١) أبو الفدا ، ج ٢ صفحة ٧٤ . السيوطي تاريخ الخلفاء صفحة ١٥٤

(٢) الذهبي ، العبر ، ج ٣ صفحة ٦٥

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ٧ صفحة ٨٨

(٤،٥) الذهبي العبر ، ج ٣ صفحة ٩٨

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٦ صفحة ٢٤٨

(٧،٨) الثعالبي ، ثمار القلوب صفحة ٥١١

(٩) القرظي ، الخطط ج ٢ صفحة ٢٢٢

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم ج ٧ صفحة ١٩٩

التحدث والجلوس في المسجد ، ولم يأمر لامر النع للقصاص من المساجد^(١) .

ومن الوعاظ من ابتدأ بقراءة شعر في مجلسه بدل الآيات .. حكى في أبي زكريا يحيى بن معاذ الرازي^(٢) الواعظ المشهور أنه ابتدأ بشعر عندما صعد على المنبر وقال :

مواظ الواعظ لن تقبلا	حق يعيها قلبه أولا
ياقوم من أظلم على واعظ	خالف ماقد قاله في الملا
أظهر بين الناس إحسانه	وبارز الرحمن لما خلا ^(٣)

هذا ، وفي عهد إنحراف الوعاظ إزداد عدد النساء^(٤) في المساجد . ومن الوعاظ من لم يضع حائلا^(٥) بينهم وبين الرجال . ويؤكد الغزالي على منعهم من الحضور إذا أدى ذلك إلى الفتنة^(٦) ومن الوعاظ من يترين للنساء ، ويشكاهم مستعملا حركات وإشارات كثيرة مع كثرة الإشعار ، فتحضر النساء مجلس هذا الواعظ ، ويؤدي إلى إنحرافها ، فعلى الواعظ أن يظهر بمظهر الورع والهيبة والسكينة والوقار ، وزيه زى الصالحين^(٧) .

ومن الوعاظ من يعتقد أن في التخويف والتعنيف والشدة في القول عبرة للمستمع ، قيل إن أحد الوعاظ حضر للمأمون لوعظه فأستعمل العنف في القول ، فقال له المأمون : يا رجل أرفق فقد بث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق متمثلا بقوله تعالى (ققولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)^(٨) .

ومن الوعاظ من يستغل مجلسه فيثير الفتنة بالتشجيع على واعظ آخر منافس له ، لذلك كانت السلطة تراقبهم ، وتناقش من يسوء منهم التصرف ، وقد تمنعه من الوعظ أو تطرده خارج البلاد ، أو قد تصدر مرسوماً يوقع عليه القضاة الفقهاء بعد توقيع

(١) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ٧ صفحة ٢٠٠

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ، صفحة الصفوة ، ج ٤ صفحة ٧١

(٣) متر الحضارة ، ج ٢ صفحة ١١٥

(٤) ابن الجوزي ، تلبس ، صفحة ١٢٥

(٥) الغزالي ، لإحياء ، ج ٢ صفحة ٣٣١ . ابن الجوزي ، تلبس ، صفحة ١٢١

(٦،٧) الغزالي ، لإحياء ، ج ٢ صفحة ٣٣١

(٨) الغزالي ، لإحياء ، ج ٢ صفحة ٣٢٩

الحليفة ، ويوزع على الوعاظ لتلاوته في حلقاتهم ، وذلك عندما تحدث منازعات مذهبية فتتشط بمض الناصر لبت آرائها بين الناس . هذا ولا ننسى دور العامة في إستمعار الوعاظ في إنحرافهم ، حيث يتحمسون ويقفون إلى جانبهم ، ويدافعون عنهم لأنهم يغذون خيال العامة ويشاطرون المكدين والشعراء في ذلك ، حتى قيل أصبحت صناعة الوعاظ (أعلى مرتبه من ساسان)^(١) .